بسم الله الرحمن الرحيم

القول الأثري

في

مناط ثبوت الإسلام الحكمي

تأليف

محمد بن سعيد الأندلسي

عفا اللّه عنه

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين أما بعد فقد وردت مقالة حاصلها أن الشهادة تقبل ممن نطق بها دون العلم بمعناها، ويحكم لقائلها ـ مع الجهل بالتوحيد ـ بالإسلام ظاهراً ـ أي الإسلام الحكمي ـ في دار الكفر، ثم يحكم له بالردة بناءً على شيوع الكفر في الدار، وبنى على هذا التأصيل ردة هذه الأقوام في هذا الزمان ... ومع أن هذا القول هو نظير قول الكرامية في باب الإيمان الذين يثبتون الإسلام بالقول فقط، حيث زعمت الكرامية أن الإيمان "هو القول باللسان دون المعرفة بالقلب، فمن نطق بلسانه ولم يعترف بقلبه فهو مؤمن ... فهذا القول يناقض الأصول المقررة في باب الديار، حيث تقرر أن الظاهر المعتبر في دور الكفر هو إظهار مخالفة ما عليه القوم من كفر وشرك فكيف يقال أنَّ الإسلام يُقبل بالنطق بالشهادة دون العلم بمعناها أي دون إظهار المعنى الذي خالف فيه القوم دين الله تعالى ... ونقول أنَّ محل النزاع بيننا: **ما هو مناط الحكم بالإسلام <u>في دار الكفر</u>** هل هو مجرد بالنطق بالشهادتين دون العلم بحقيقة الإسلام كما يزعم صاحب المقالة، أو هو الظاهر المعتبر الذي قررناه في مواضع من كتبنا وهو إظهار خلاف ما عليه القوم من كفر وشرك ... "وكل من عقل عن الله يعلم علماً ضروريا أن المقصود من الشهادتين ما دلتا عليه من الحقيقة والمعنى، وما اشتملتا عليه من العلم والعمل، وأما مجرد اللفظ من غير علم بمعناهما ولا اعتقاد لحقيقتهما فهذا لا يفيد العبد شيئا، ولا يخلصه من شعب الشرك وفروعه"[١].

وسنسوق هنا جملة الأدلة على أن النطق بالشهادة لا يكفي في الحكم بالإسلام إلا من قالها عالما بمعناها موقنا من قلبه بحقيقة ما نطق به لسانه ... وقبل أن نشرع في ذلك لابد أن نؤكد على أن العرب الذين بعث فيه النبي ﷺ كانوا

---

[١] مصباح الظلام ١٦٣/١

يعرفــون معنـى لا إلــه إلا اللــه ويعلمــون مــدلولها، وأنهـا تقتضـي خلــع الأربــاب والأنـداد ومفارقـة ديـن الآبـاء والأجـداد كمـا روى ابـن إسـحاق قـال: "ثـم إن أبـا بكـر لقـي رسـول اللـه ﷺ فقـال: **أحـقٌ مـا تقـول قـريش يـا محمـد مـن تركـك آلهتنـا، وتسـفيهك عقولنـا وتكفيرك آباءنـا؟** [1]، ومـا دلـت عليـه الآيـات والآثـار كقولـه **تعـــــــالى**: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴾ [سـورة الصـافات ٣٥، ٣٦] **وقـــال تعـــالى**: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[ص٥] عَـنْ سَـعِيدِ بْـنِ جُبَيْـرٍ عَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ قَـالَ: " لَمَّـا أَنْ مَـرِضَ أَبُـو طَالِـبٍ دَخَـلَ عَلَيْـهِ رَهْـطٌ مِـنْ قُـرَيْشٍ فِـيهِمْ أَبُـو جَهْـلٍ، قَـالَ: فَقَـالُوا: إِنَّ ابْـنَ أَخِيـكَ يَشْـتُمُ آلِهَتَنَـا وَيَفْعَـلُ وَيَفْعَـلُ وَيَقُـولُ وَيَقُـولُ، فَلَـوْ بَعَثْـتَ إِلَيْـهِ فَنَهَيْتَـهُ، فَبَعَـثَ إِلَيْـهِ أَوْ قَـالَ: جَـاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَـدَخَلَ الْبَيْـتَ وَبَيْـنَهُمْ وَبَـيْنَ أَبِي طَالِـبٍ مَجْلِـسُ رَجُـلٍ ، قَـالَ: فَخَشِـيَ أَبُـو جَهْـلٍ إِنْ جَلَـسَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جَنْـبِ أَبِي طَالِـبٍ أَنْ يَكُـونَ أَرَقَّ لَـهُ عَلَيْـهِ، فَوَثَـبَ فَجَلَـسَ فِي ذَلِـكَ الْمَجْلِـسِ، وَلَـمْ يَجِـدِ النَّبِيُّ ﷺ مَجْلِسًـا قُـرْبَ عَمِّــهِ ، فَجَلَـسَ عِنْــدَ الْبَــابِ، قَــالَ أَبُــو طَالِــبٍ: أَيِ ابْــنَ أَخِـي ، مَــا بَــالُ قَوْمِـكَ يَشْــكُونَكَ؟ يَزْعُمُــونَ أَنَّــكَ تَشْــتُمُ آلِهَــتَهُمْ وَتَقُــولُ وَتَقُــولُ وَتَفْعَــلُ وَتَفْعَــلُ، قَــالَ: فَـأَكْثَرُوا عَلَيْـهِ مِـنَ اللَّحْـوِ ، قَـالَ: فَـتَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَـالَ: يَـا عَـمِّ: **إِنِّـي أُرِيـدُهُمْ عَلَـى كَلِمَـةٍ وَاحِـدَةٍ يَقُولُونَهَـا تَـدِينُ لَهُـمْ بِهَـا الْعَـرَبُ ، وَتُـؤَدِّي إِلَـيْهِمْ بِـهِ الْعَجَـمُ الْجِزْيَـةَ** ، قَــالَ: فَفَزِعُــوا لِكَلِمَتِــهِ وَلِقَوْلِــهِ قَــالَ: **فَقَــالَ الْقَــوْمُ: كَلِمَــةٌ وَاحِــدَةٌ** ، نَعَـمْ وَأَبِيـكَ وَعَشْـرًا ، قَـالَ: وَمَـا هِيَ؟ قَـالَ أَبُـو طَالِـبٍ: وَأَيُّ كَلِمَـةٍ هِيَ يَـا ابْـنَ أَخِي؟ **قَـالَ: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّــهُ قَــالَ: فَقَــامُوا فَــزِعِينَ يَنْفُضُــونَ ثِيَــابَهُمْ** وَهُــمْ يَقُولُــونَ: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[ص: ٥] قَــالَ: وَقَــرَأَ مِــنْ هَــذَا الْمَوْضِــعِ إِلَى قَوْلِـهِ: ﴿

[1] سيرة بن اسحاق ١٣٩/١

بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴾[ص: ٨] "[١]، **وهـذا الأثـر ينسـف الشـبهة التي صـدرنا بهـا الرسـالة فـلا يبقـي لهـا أثـرا لـذي لـب، فقـد** فهِـم كفـار قـريش أنَّ لا إلـه إلا اللـه تعني: تـرك ديـن آبـائهم وأجـدادهم، واتِّبـاع ديـن جديـد متمثِّـل في إخـلاص العبوديـة للـه عـز وجـل ... فكـان المسـلم يقولهـا معتقـداً لمعناهـا الـذي يعرفـه مـن لغـة العـرب وواقـع الحـال فيصـير بهـا مؤمنـاً، والمشـرك يجحـد لفظهـا لمـا يجحـده مـن معناهـا الـذي يعرفـه مـن لغـة العـرب وواقـع الحـال فيصـير بـه جاحـداً مكـذبا ... فتمـايز الصـفان وبانـت السـبيلان بكلمـة التوحيـد، فكـان الظـاهر المعتبر في التمييـز بـين المسـلمين والمشـركين ــ في دارِ كفـرٍ أهلُهـا وثنيـين لا يتكلمـون بالإسـلام ـ هـو النطـق بالشـهادتين مـع العلـم بمعناهـا ومـا تتضـمنه مـن البراءة مـن الشرك وأهله.

وعَـنْ أَشْـعَثَ قَـالَ: حَـدَّثَنِي شَـيْخٌ مِـنْ بَنِي مَالِـكِ بْـنِ كِنَانَـةَ، قَـالَ: رَأَيْـتُ رَسُـولَ اللـهِ ﷺ بِسُـوقِ ذِي الْمَجَـازِ يَتَخَلَّلُهَـا يَقُـولُ: « **يَـا أَيُّهَـا النَّـاسُ، قُولُـوا لَا إِلَـهَ إِلَّا اللـهُ تُفْلِحُـوا** »، قَـالَ: وَأَبُـو جَهْـلٍ يَحْثِي عَلَيْـهِ التُّرَابَ وَيَقُـولُ: يَـا أَيُّهَـا النَّـاسُ، لَا يَغُـرَّنَّكُمْ هَـذَا عَـنْ دِيـنِكُمْ، **فَإِنَّمَـا يُرِيـدُ لِتَتْرُكُـوا آلِهَـتَكُمْ، وَتَتْرُكُـوا الـلَّاتَ وَالْعُـزَّى**، قَـالَ: وَمَـا يَلْتَفِـتُ إِلَيْـهِ رَسُـولُ اللـهِ ﷺ »[٢] ففهـمَ أن النبي ﷺ لا يريـد مـنهم مجـرد قـول لا إلـه إلا اللـه فحسـب كي يفلحـوا، وإنمـا فهـم أنـه أتـاهم بـدين جديـد يختلـف تمامـا عن دينهم لذلك قال: « لَا يَغُرَّنَّكُمْ هَذَا عَنْ دِينِكُمْ »

---

[١] مصنف ابن أبي شيبة برقم ٣٦٥٦٤

[٢] رواه أحمد برقم ١٦٦٠٣

سرد الأدلة من كتاب الله:

❁ قـــال تعـــالى:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[آل عمران ١٧]

"والشَهادة: خبَرٌ قاطع"[١] قال ابن فارس: الشِّينُ وَالْهَاءُ وَالدَّالُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى حُضُورٍ وَعِلْمٍ وَإِعْلَامٍ، لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ مِنْ فُرُوعِهِ عَنِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ. مِنْ ذَلِكَ الشَّهَادَةُ، **يَجْمَعُ الْأُصُولَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مِنَ الْحُضُورِ، وَالْعِلْمِ**، وَالْإِعْلَامِ. يُقَالُ شَهِدَ يَشْهَدُ شَهَادَةً"[٢].

قال ابن القيم:" فَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: أَجَلَّ شَهَادَةٍ، وَأَعْظَمَهَا، وَأَعْدَلَهَا، وَأَصْدَقَهَا، مِنْ أَجَلِّ شَاهِدٍ، بِأَجَلِّ مَشْهُودٍ بِهِ، وَعِبَارَاتُ السَّلَفِ فِي " شَهِدَ " تَدُورُ عَلَى الْحُكْمِ وَالْقَضَاءِ، وَالْإِعْلَامِ وَالْبَيَانِ، وَالْإِخْبَارِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: حَكَمَ، وَقَضَى، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: بَيَّنَ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: أَعْلَمَ وَأَخْبَرَ، وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ كُلُّهَا حَقٌّ لَا تَنَافِيَ بَيْنَهَا فَإِنَّ الشَّهَادَةَ تَتَضَمَّنُ كَلَامَ الشَّاهِدِ وَخَبَرَهُ، وَقَوْلَهُ، وَتَتَضَمَّنُ إِعْلَامَهُ، وَإِخْبَارَهُ وَبَيَانَهُ، فَلَهَا أَرْبَعُ مَرَاتِبَ، **فَأَوَّلُ مَرَاتِبِهَا: عِلْمٌ، وَمَعْرِفَةٌ، وَاعْتِقَادٌ لِصِحَّةِ الْمَشْهُودِ بِهِ، وَثُبُوتِهِ**، وَثَانِيهَا: تَكَلُّمُهُ بِذَلِكَ، وَنُطْقُهُ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يُعْلِمْ بِهِ غَيْرَهُ، بَلْ يَتَكَلَّمُ بِهِ مَعَ نَفْسِهِ وَيَذْكُرُهَا، وَيَنْطِقُ بِهَا أَوْ يَكْتُبُهَا، وَثَالِثُهَا: أَنْ يُعْلِمَ غَيْرَهُ بِمَا شَهِدَ بِهِ، وَيُخْبِرَهُ بِهِ، وَيُبَيِّنَهُ لَهُ، وَرَابِعُهَا: أَنْ يُلْزِمَهُ بِمَضْمُونِهَا وَيَأْمُرَهُ بِهِ فَشَهَادَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِنَفْسِهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَالْقِيَامِ بِالْقِسْطِ: تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَةَ: عِلْمَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِذَلِكَ، وَتَكَلُّمَهُ بِهِ، وَإِعْلَامَهُ، وَإِخْبَارَهُ لِخَلْقِهِ بِهِ، وَأَمْرَهُمْ وَإِلْزَامَهُمْ بِهِ.

---

[١] الصحاح ٤٩٤/٢

[٢] مقاييس اللغة ٢٢١/٣

أَمَّا مَرْتَبَةُ الْعِلْمِ: فَإِنَّ الشَّهَادَةَ بِالْحَقِّ تَتَضَمَّنُهَا ضَرُورَةً، وَإِلَّا كَانَ الشَّاهِدُ شَاهِدًا بِمَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[الزخرف: ٨٦] وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «عَلَى مِثْلِهَا فَاشْهَدْ وَأَشَارَ إِلَى الشَّمْسِ».

وَأَمَّا مَرْتَبَةُ التَّكَلُّمِ وَالْخَبَرِ: فَمَنْ تَكَلَّمَ بِشَيْءٍ وَأَخْبَرَ بِهِ فَقَدْ شَهِدَ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَتَلَفَّظْ بِالشَّهَادَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡ ﴾ [الأنعام: ١٥٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩].

فَجَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ شَهَادَةً، وَإِنْ لَمْ يَتَلَفَّظُوا بِلَفْظِ الشَّهَادَةِ، وَلَمْ يُؤَدُّوهَا عِنْدَ غَيْرِهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ الْإِشْرَاكَ بِاللَّهِ» وَشَهَادَةُ الزُّورِ هِيَ قَوْلُ الزُّورِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ ﴾ [الحج: ٣٠] وَعِنْدَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ الْإِشْرَاكَ بِاللَّهِ» فَسَمَّى قَوْلَ الزُّورِ شَهَادَةً، وَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى إِقْرَارَ الْعَبْدِ عَلَى نَفْسِهِ شَهَادَةً، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ ﴾[النساء: ١٣٥]"[1].

❁ قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[الزخرف ٨٧]

---

[1] مدارج السالكين ٤١٨/٣

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لا يملك الذين يعبدهم المشركون من دون الله الشفاعة عنده لأحد، إلا من شهد بالحقّ، وشهادته بالحقّ: هو إقراره بتوحيد الله، **يعني بذلك: إلا من آمن بالله، وهم يعلمون حقيقة توحيده**، ولم يخصص بأن الذي لا يملك ملك الشفاعة منهم بعض من كان يعبد من دون الله، فذلك على جميع من كان تعبد قريش من دون الله يوم نزلت هذه الآية وغيرهم، وقد كان فيهم من يعبد من دون الله الآلهة، وكان فيهم من يعبد من دونه الملائكة وغيرهم، فجميع أولئك داخلون في قوله: ولا يملك الذين يدعو قريش وسائر العرب من دون الله الشفاعة عند الله. ثم استثنى جلّ ثناؤه بقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ **وهم الذين يشهدون شهادة الحقّ فيوحدون الله، ويخلصون له الوحدانية، على علم منهم ويقين بذلك**، أنهم يملكون الشفاعة عنده بإذنه لهم بها."[١]

قال السمعاني :" وَقَوله: ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ ظَاهر الْمَعْنى، وَمَعْنَاهُ: يشْهدُونَ عَن علم."[٢]

قال البغوي:" وَأَرَادَ بشهادة الحق قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ، ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ بِقُلُوبِهِمْ مَا شَهِدُوا بِهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ"[٣].

قال ابن القيم:" أَمَّا مَرْتَبَةُ الْعِلْمِ: فَإِنَّ الشَّهَادَةَ بِالْحَقِّ تَتَضَمَّنُهَا ضَرُورَةً، وَإِلَّا كَانَ الشَّاهِدُ شَاهِدًا بِمَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ

[١] تفسير الطبري ٦٥٥/٢١

[٢] تفسير السمعاني ١٢٠/٥

[٣] تفسير البغوي ١٨١/٤

يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦] وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «عَلَى مِثْلِهَا فَاشْهَدْ وَأَشَارَ إِلَى الشَّمْسِ» [١].

❀ وقال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾[محمد١٩] قال البخاري بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[محمد: ١٩] فَبَدَأَ بِالعِلْمِ"[٢]

قال الإمام الشافعي:" فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده **حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله**، ويتلو به كتاب الله ، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير ، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك "[٣]

❀ قال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران:٦٤]، قال أبو العالية: «كلمة السواء لا إله إلا الله»[٤].

وفي هذا النص دعوة أهل الكتاب ـ اليهود والنصارى ـ إلى الإسلام، فأمر الله نبيَّه أن يدعوهم إلى الكلمة السواء وهي لا إله إلا الله بذكر مدلولها ومعناها الذي يصح به إسلامهم، فإن علِموه ونطقوا به وأقروا به كانوا مسلمين ﴿ فَإِن

[١] مدارج السالكين ٤١٨/٣

[٢] صحيح بخاري ٣٤/١

[٣] الرسالة (٤٢/١-٥٣ ،

[٤] رواه الطبري في تفيره برقم ٧١٩٩

تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ "أَيْ: فَإِنْ تَوَلَّوْا عَنْ هَذَا النَّصَفِ وَهَذِهِ الدَّعْوَةِ فأشْهدوهم أَنْتُمْ عَلَى اسْتِمْرَارِكُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ"[1].

وهذا نص في محل النزاع: حيث أن الله اشترط على أهل الكتاب عدم اتخاذ الأنداد والبراءة من الشرك والأديان غير الإسلام وهو العرض التام لقبول إسلامهم بذكر المعنى الذي عُرف عنهم خلافه في سياق الدعوة إليه فهل بعد هذ الكلام كلام؟!!.

❁ **ومن أوضح الأدلة في محل النزاع هو قوله تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [الممتحنة ١٠]، فمن جاء من المؤمنات مهاجرات إلى دار الإسلام لم يقبل منهم الإيمان إلا بالامتحان للتحقق من الإقرار بمعنى الإيمان وهو استدلال في محل النزاع.

قال الطبري:" وقوله: ﴿ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ ﴾ يقول: فإن أقررن عند المحنة بما يصحّ به عقد الإيمان لهنّ، والدخول في الإسلام، فلا تردوهنّ عند ذلك إلى الكفار"[2].

وقال السمعاني:" فَإِن قَالَ قَائِل: كَيفَ التَّوْفِيق بَين قَوْله: ﴿ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ ﴾ وَبَين قَوْله: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ﴾ ؟ وَالْجَوَاب عَنهُ: أَن معنى قَوْله: ﴿ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ ﴾ أَي: إِيمَان الْإِقْرَار والامتحان، كأنهن أقررن بِالْإِيمَان، وحلفن عِنْد الامتحان"[3].

---

[1] تفسير بن كثير ٥٦/٢

[2] تفسير الطبري ٣٢٨/٢٣

[3] تفسير السمعاني ٤١٨/٥

فـالأمر بالامتحـان للتحقـق مـن الإيمـان الظـاهر لقـدومهن مـن دار الكفـر والانتقـال مـن الأصـل في الـدار القـادمين منهـا إلى الظـاهر المُنـاط بـه الحكـم: ﴿ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ ﴾ أي مـا يتعلـق بـه علـم المكلـف، بإظهارهـا مخالفـة القـوم الكـافرين، أمـا البـاطن فـأمره إلى اللـه كمـا في قولـه: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ﴾ ولا يتعلـق بـه التكليـف، وعليـه فـالنص فيـه استصحاب لحكـم القـوم لمـن خـرج مـنهم يريـد الإسـلام إلى دار الإسـلام، وفيـه أن الظـاهر المعتبر في هـذه الصـورة هـو مـا يحصـل بـه الامتحـان، وهـو إظهـار المخالفـة للقـوم الكـافرين، قـال ابْـنِ عَبَّـاسٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا فِـي قَوْلِـهِ: ﴿ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّ ﴾أَنَّـهُ سُـئِلَ بِـمَ كَـانَ النَّبِيُّ ﷺ يَمْـتَحِنُ النِّسَـاءَ؟ قَـالَ:« كَانَـتِ الْمَـرْأَةُ إِذَا جَـاءَتِ النَّبِيَّ ﷺ حَلَّفَهَـا عُمَـرُ ﵁ بِاللَّـهِ مَـا خَرَجَـتْ رَغْبَـةً بِـأَرْضٍ عَـنْ أَرْضٍ، وَبِاللَّـهِ مَـا خَرَجَـتْ مِـنْ بُغْـضِ زَوْجٍ، وَبِاللَّـهِ مَـا خَرَجَـتِ الْتِمَـاسَ دُنْيَـا، وَبِاللَّـهِ مَـا خَرَجَـتْ إِلا حُبًّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ»[١].

❁ وقولـــه تعـــالى:{ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [آل عمران ٢٠] ، قـال البغـوي **قَوْلُـهُ تَعَـالَى:**﴿ فَإِنۡ حَآجُّوكَ ﴾، أَيْ: خَاصَـمُوكَ يَـا مُحَمَّـدُ فِي الـدِّينِ، **وَذَلِـكَ أَنَّ الْيَهُـودَ وَالنَّصَـارَى قـالوا: ألسـنا عَلَى مَـا سَـمَّيْتَنَا بِـهِ يَـا محمـد وإنمـا الْيَهُودِيَّـةُ وَالنَّصْـرَانِيَّةُ نَسَـبٌ، وَالـدِّينُ هُـوَ الْإِسْـلَامُ وَنَحْـنُ عَلَيْـهِ**؟. فَقَـالَ اللَّـهُ تَعَـالَى:﴿ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ ﴾، أَيِ: انْقَـدْتُ لِلَّـهِ وَحْـدَهُ بِقَلْبِي وَلِسَـانِي وَجَمِيعِ جَـوَارِحِي، وَإِنَّمَـا خُـصَّ الوجـه لأنـه أكـرم الجـوارح للإنسـان، وَفِيـهِ بَهَـاؤُهُ فَـإِذَا خَضَـعَ وَجْهُـهُ للشـيء فقـد خَضَـعَ لَـهُ جَمِيـعُ جَوَارِحِـهِ.

[١] تفسير ابن أبي حاتم برقم ١٨٨٦٧

وَقَالَ الْفَرَّاءُ: مَعْنَاهُ أَخْلَصْتُ عَمَلِي لِلَّهِ،﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾ أَيْ: وَمَنِ اتَّبَعَنِي فأسلم كَمَا أَسْلَمْتُ ... وَقَوْلُهُ: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾، يَعْنِي: الْعَرَبَ أَأَسْلَمْتُمْ، لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ أَمْرٌ، أي: وأسلموا، كَمَا قَالَ:﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [الْمَائِدَةِ: ٩١] ، أَيِ: انْتَهُوا، ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ﴾، فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ **فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ: أَسْلَمْنَا**، فقال لليهود: أتشهدون أن عزيزا عبده ورسوله؟ فَقَالُوا: مَعَاذَ اللَّهِ [أَنْ يَكُونَ عزيز عليه السلام عبدا] ، وَقَالَ لِلنَّصَارَى: أَتَشْهَدُونَ أَنَّ عِيسَى كَلِمَةُ اللَّهِ وَعَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؟ قَالُوا: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ عِيسَى عَبْدًا، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾، أَيْ: تَبْلِيغُ الرِّسَالَةِ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ الْهِدَايَةُ، ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾، عَالِمٌ بِمَنْ يُؤْمِنُ وَبِمَنْ لَا يُؤْمِنُ"[١].

ومن السنة :

❁ عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:« مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ »[٢]

قال عبد الرحمن بن حسن: "وأما قوله ﷺ في الحديث الصحيح: ﴿وكفر بما يعبد من دون الله﴾، فهذا شرط عظيم لا يصح قول: لا إله إلاَّ الله إلاَّ بوجوده، وإن لم يوجد لم يكن من قال: لا إله إلاَّ الله معصوم الدم والمال، ولأن هذا هو معنى: لا إله إلاَّ الله، فلم ينفعه القول بدون الإتيان بالمعنى الذي دلَّ عليه من: **ترك الشرك والبراءة منه وممن فعله**، فإذا أنكر عبادة كل ما يعبد من دون الله وتبرأ منه وعادى من فعل ذلك، صار مسلمًا معصوم

[١] تفسير البغوي (٤٢٢/١)

[٢] رواه مسلم برقم ٣٧

الـــدم والمـــال، وهـــذا معنـى قـــول اللـــه تعـــالى: ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة ٢٥٦] "[١].

وقـال عبـد اللـه بـن محمـد بـن عبـد الوهـاب:" قولـه: « حَـرُمَ مَالُـهُ، وَدَمُـهُ، وَحِسَـابُهُ عَلَـى اللـهِ »، فيـه دليـل على أنـه لا يحـرم مالـه ودمـه إلا إذا قـال: لا إلـه إلا اللـه، وكفـر بمـا يعبـد مـن دون اللـه، فـإن قالهـا ولـم يكفـر بمـا يعبـد مـن دون اللـه، فدمـه ومالـه حـلال لكونـه لـم ينكـر الشـرك ويكفـر بـه، ولـم ينفـه كمـا نفتـه لا إلـه إلا الله، فتأمل هذا الموضع فإنه عظيم النفع.

قـال شـيخنا: "وهـذا مـن أعظـم مـا بـين معنى لا إلـه إلا اللـه، فإنـه لـم يجعـل الـتلفظ بهـا عاصـما للـدم والمـال، بـل ولا معرفـة معناهـا مـع لفظهـا، بـل ولا الإقـرار بـذلك. بـل ولا كونـه لا يـدعو اللـه وحـده لا شـريك لـه، بـل لا يحـرم دمـه ومالـه حتى يضـيف إلى ذلـك الكفـر بمـا يعبـد مـن دون اللـه، فـإن شـك أو توقـف لـم يحـرم مالـه ودمـه، فيـا لهـا مـن مسـألة مـا أجلهـا، **ويـا لـه مـن بيـان مـا أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع**". انتهى[٢].

❁ عَـنْ عُبَـادَةَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ، عَـنِ النَّبِيِّ ﷺ قَـالَ: «مَـنْ شَـهِدَ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلَّا اللَّـهُ وَحْـدَهُ لاَ شَـرِيكَ لَـهُ، وَأَنَّ مُحَمَّـدًا عَبْـدُهُ وَرَسُـولُهُ، وَأَنَّ عِيسَـى عَبْـدُ اللَّـهِ وَرَسُـولُهُ، وَكَلِمَتُـهُ أَلْقَاهَـا إِلَى مَـرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْـهُ، وَالجَنَّـةُ حَـقٌّ، وَالنَّـارُ حَـقٌّ، أَدْخَلَـهُ اللَّـهُ الجَنَّـةَ عَلَـى مَـا كَـانَ مِـنَ العَمَـلِ»[٣]، وهـذه الـنص فيـه التنصـيص على النطـق بـبعض الأصـول التي عُرفـت تلـك الطائفـة بمخالفتهـا، كمـا في قولـه « وَأَنَّ عِيسَـى عَبْـدُ اللهِ، وَابْنُ أَمَتِهِ » لمن عُلم منه اعتقاد ألوهية عيسى عليه السلام.

قـال عبـد الـرحمن بـن حسـن قولـه: " مـن شـهد أن لا إلـه إلا اللـه " أي مـن تكلـم بهـا عارفـا لمعناهـا، عـاملا بمقتضـاها، باطنـا وظـاهرا، فـلا بـد في الشـهادتين مـن

---

[١] «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٢/ ٢٧، ٢٨).

[٢] قرة عيون الموحدين ٥٠/١

[٣] رواه البخاري برقم ٣٤٣٥

العلم واليقين والعمل بمدلولها؛ كما قال الله تعالى ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾، أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه: من البراءة من الشرك، وإخلاص القول والعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح فغير نافع بالإجماع"[١]

❁ قول النبي ﷺ: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ﴾[٢]، وَقَوْلُهُ: " حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ "، **أَرَادَ بِهِ عَبَدَةَ الأَوْثَانِ** دُونَ أَهْلِ الْكِتَابِ، لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، ثُمَّ لَا يُرْفَعُ عَنْهُمُ السَّيْفُ حَتَّى يُقِرُّوا بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَوْ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ"[٣].

وقال السرخسي:" ذَكَرَ عَنْ الْحَسَنِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿أُمِرْت أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَإِذَا قَالُوهَا فَقَدْ عَصَمُوا مِنِى دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ﴾، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُقَاتِلُ عَبَدَةَ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ قَوْمٌ لَا يُوَحِّدُونَ اللَّهَ، فَمَنْ قَالَ مِنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى إسْلَامِهِ، وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ يُحْكَمُ بِإِسْلَامِهِ إذَا أَقَرَّ بِخِلَافِ مَا كَانَ مَعْلُومًا مِنْ اعْتِقَادِهِ، لِأَنَّهُ لَا طَرِيقَ إلَى الْوُقُوفِ عَلَى حَقِيقَةِ الِاعْتِقَادِ لَنَا، فَنَسْتَدِلُّ بِمَا نَسْمَعُ مِنْ إقْرَارِهِ عَلَى اعْتِقَادِهِ. **فَإِذَا أَقَرَّ بِخِلَافِ مَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنْ اعْتِقَادِهِ اسْتَدْلَلْنَا بِهِ عَلَى أَنَّهُ بَدَّلَ اعْتِقَادَهُ**. وَعَبَدَةُ الْأَوْثَانِ كَانُوا يُقِرُّونَ بِاَللَّهِ تَعَالَى. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾وَلَكِنْ كَانُوا لَا يُقِرُّونَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ وَقَالَ

[١] فتح المجيد ٣٥/١

[٢] رواه البخاري برقم ٢٥ ورواه مسلم برقم ٢٢

[٣] شرح السنة للبغوي ٦٦/١ .

فِيمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾، مَنْ قَالَ مِنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ أَقَرَّ بِمَا هُوَ مُخَالِفٌ لِاعْتِقَادِهِ **فَلِهَذَا جُعِلَ ذَلِكَ دَلِيلَ إِيمَانِهِ** فَقَالَ: «أُمِرْت أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»..

وَعَلَى هَذَا الْمَانَوِيَّةُ وَكُلُّ مَنْ يَدَّعِي إلَهَيْنِ، إذَا قَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَذَلِكَ دَلِيلُ إسْلَامِهِ.

فَأَمَّا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى هُمْ يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَا تَكُونُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ دَلِيلَ إسْلَامِهِمْ. وَهُمْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانُوا لَا يُقِرُّونَ بِرِسَالَتِهِ. فَكَانَ دَلِيلُ الْإِسْلَامِ فِي حَقِّهِمْ الْإِقْرَارَ بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. عَلَى مَا رُوِيَ عَنْهُ «أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى جَارِهِ الْيَهُودِيِّ يَعُودُهُ فَقَالَ: أَشْهَدْ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَنَظَرَ الرَّجُلُ إلَى أَبِيهِ فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ أَبَا الْقَاسِمِ. فَشَهِدَ بِذَلِكَ وَمَاتَ، فَقَالَ ﷺ -: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْتَقَ بِي نَسَمَةً مِنْ النَّارِ: ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: لُوا أَخَاكُمْ».

قَالَ: فَأَمَّا الْيَوْمَ بِبِلَادِ الْعِرَاقِ فَإِنَّهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ رَسُولٌ إلَى الْعَرَبِ، لَا إلَى بَنِي إسْرَائِيل وَيَتَمَسَّكُونَ بِظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ فَمَنْ يُقِرُّ مِنْهُمْ بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ لَا يَكُونُ مُسْلِمًا حَتَّى يَتَبَرَّأَ مِنْ دِينِهِ مَعَ ذَلِكَ، أَوْ يُقِرَّ بِأَنَّهُ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ. حَتَّى **إذَا قَالَ الْيَهُودِيُّ أَوْ النَّصْرَانِيُّ: أَنَا مُسْلِمٌ أَوْ أَسْلَمْت** لَا يُحْكَمُ بِإِسْلَامِهِ. لِأَنَّهُمْ لَا يَدَّعُونَ ذَلِكَ. فَإِنَّ الْمُسْلِمَ هُوَ الْمُسْتَسْلِمُ لِلْحَقِّ الْمُنْقَادُ لَهُ، وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْحَقَّ مَا هُمْ عَلَيْهِ. فَلَا يَكُونُ مُطْلَقُ هَذَا اللَّفْظِ فِي حَقِّهِمْ دَلِيلَ الْإِسْلَامِ حَتَّى يَتَبَرَّأَ مِنْ دِينِهِ مَعَ ذَلِكَ.

كَذَلِكَ لَوْ قَالَ: بَرِئْت مِنْ الْيَهُودِيَّةِ وَلَمْ يَقُلْ مَعَ ذَلِكَ: دَخَلْت فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ لَا يُحْكَمُ بِإِسْلَامِهِ، لِأَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ تَبَرَّأَ مِنْ الْيَهُودِيَّةِ وَدَخَلَ فِي النَّصْرَانِيَّةِ. فَإِنْ قَالَ مَعَ ذَلِكَ: وَدَخَلْت فِي الْإِسْلَامِ فَحِينَئِذٍ يَزُولُ هَذَا الِاحْتِمَالُ. وَقَالَ بَعْضُ مَشَايِخِنَا: إذَا قَالَ: دَخَلْت فِي الْإِسْلَامِ، يُحْكَمُ بِإِسْلَامِهِ وَإِنْ لَمْ يَتَبَرَّأْ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ. لِأَنَّ فِي لَفْظِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى دُخُولٍ حَادِثٍ مِنْهُ فِي السَّلَامِ، وَذَلِكَ غَيْرُ مَا كَانَ عَلَيْهِ. **فَتَضَمَّنُ هَذَا اللَّفْظُ التَّبَرِّي مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ.**

وَلَـوْ قَـالَ الْمَجُوسِـيُّ: أَسْـلَمْت، أَوْ أَنَـا مُسْـلِمٌ، يُحْكَـمُ بِإِسْـلَامِهِ. لِأَنَّهُـمْ لَا يَـدَّعُونَ هَـذَا الْوَصْـفَ لِأَنْفُسِـهِمْ وَيَعُدُّونَـهُ شَـتِيمَةً بَيْـنَهُمْ يَشْـتُمُ الْوَاحِـدُ مِـنْهُمْ بِـهِ وَلَـدُهُ فَيَكُـونُ ذَلِكَ دَلِيلَ الْإِسْلَامِ فِي حَقِّهِ"[١].

❁ عَـنْ أَنَـسِ بْـنِ مَالِـكٍ، عَـنْ مُعَـاذِ بْـنِ جَبَـلٍ: أَنَّ رَسُـولَ اللـهِ ﷺ قَـالَ: «مَـنْ مَـاتَ يَشْـهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللـهُ، وَأَنَّ مُحَمَّـدًا رَسُـولُ اللـهِ، مُوقِنًـا مِـنْ قَلْبِـهِ دَخَـلَ الْجَنَّةَ»[٢]

قـال الآجـري:" أَمَّـا بَعْـدُ فَـاعْلَمُوا رَحِمَنَـا وَإِيَّـاكُمْ أَنَّ اللَّـهَ تَعَـالَى بَعَـثَ مُحَمَّـدًا ﷺ إِلَى النَّـاسِ كَافَّـةً لِيُقِـرُّوا بِتَوْحِيـدِهِ، فَيَقُولُـوا: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّـهُ مُحَمَّـدٌ رَسُـولُ اللَّـهِ **فَكَانَ مَـنْ قَـالَ هَـذَا مُوقِنًـا مِـنْ قَلْبِـهِ وَنَاطِقًـا بِلِسَـانِهِ أَجْـزَأَهُ**، وَمَـنْ مَـاتَ عَلَـى هَـذَا فَـإِلَى الْجَنَّـةِ، فَلَمَّـا آمَنُـوا بِـذَلِكَ، وَأَخْلَصُـوا تَوْحِيـدَهُمْ، فَـرَضَ عَلَـيْهِمُ الصَّـلَاةَ بِمَكَّـةَ، فَصَـدَّقُوا بِـذَلِكَ، وَآمَنُـوا وَصَـلَّوْا، ثُـمَّ فَـرَضَ عَلَـيْهِمُ الْهِجْـرَةَ، فَهَـاجَرُوا، وَفَـارَقُوا الْأَهْـلَ وَالْـوَطَنَ، ثُـمَّ فَـرَضَ عَلَـيْهِمْ بِالْمَدِينَـةِ الصِّـيَامَ، فَـآمَنُوا وَصَـدَّقُوا وَصَـامُوا شَـهْرَ رَمَضَـانَ، ثُـمَّ فَـرَضَ عَلَـيْهِمُ الزَّكَـاةَ، فَـآمَنُوا وَصَـدَّقُوا، وَأَدَّوْا ذَلِـكَ كَمَـا أُمِـرُوا، ثُـمَّ فَـرَضَ عَلَـيْهِمُ الْجِهَـادَ، فَجَاهَـدُوا الْبَعِيـدَ وَالْقَرِيـبَ، وَصَـبَرُوا وَصَـدَّقُوا، ثُـمَّ فَـرَضَ عَلَـيْهِمُ الْحَـجَّ، فَحَجُّـوا وَآمَنُـوا بِـهِ، فَلَمَّـا آمَنُـوا بِهَـذِهِ الْفَـرَائِضِ، وَعَمِلُـوا بِهَـا تَصْـدِيقًا بِقُلُـوبِهِمْ، وَقَـوْلًا بِأَلْسِـنَتِهِمْ، وَعَمَـلًا بِجَـوَارِحِهِمْ قَـالَ اللَّـهُ تَعَـالَى: {الْيَـوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُـمْ دِيـنَكُمْ وَأَتْمَمْـتُ عَلَـيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِـيتُ لَكُـمُ الْإِسْـلَامَ دِينًـا} [المائـدة: ٣]"[٣]

❁ عَـنْ بَهْـزٍ قَـالَ: أَخْبَرَنِـي أَبِـي، عَـنْ جَـدِّي قَـالَ: أَتَيْـتُ رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ فَقُلْـتُ: يَـا رَسُـولَ اللَّـهِ وَاللَّـهِ مَـا أَتَيْتُـكَ حَتَّى حَلَفْـتُ أَكْثَرَ مِنْ عَـدَدِ أُولَاءِ، وَضَـرَبَ إِحْـدَى يَدَيْـهِ عَلَـى الْأُخْـرَى أَنْ لَا آتِيَـكَ، وَلَا آتِـيَ دِينَـكَ، وَإِنِّـي قَـدْ جِئْـتُ امْـرَأً لَا أَعْقِـلُ شَـيْئًا إِلَّا مَـا

[١] شرح السير الكبير ١٥٢/١

[٢] رواه النسائي في الكبرى برقم ١٠٩٠٧

[٣] الشريعة ٥٥٠/١.

عَلَّمَنِي اللَّـهُ وَرَسُولُهُ، وَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِوَجْهِ اللَّـهِ بِمَ بَعَثَكَ رَبُّنَا إِلَيْنَا؟ قَالَ: «بِالْإِسْلَامِ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ وَمَا آيَةُ الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: ﴿أَنْ تَقُولَ **أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّـهِ وَتَخَلَّيْتُ**، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَكُلُّ مُسْلِمٍ عَلَى مُسْلِمٍ مُحَرَّمٌ أَخَوَانِ نَصِيرَانِ لَا يَقْبَلُ اللَّـهُ مِنْ مُشْرِكٍ يُشْرِكُ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلًا، أَوْ يُفَارِقُ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ﴾ الحديث[١]، قال الطحاوي تعليقا على هذا الحديث :" **وَكَانَ التَّخَلِّي هُوَ تَرْكُ كُلِّ الْأَدْيَانِ إِلَى اللهِ ثَبَتَ بِذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَنْ لَمْ يَتَخَلَّ مِمَّا سِوَى الْإِسْلَامِ ، لَمْ يَعْلَمْ بِذَلِكَ دُخُولَهُ فِي الْإِسْلَامِ**"[٢].

❁ عَنْ عُثْمَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٣]. مفهوم الحديث: أن من مات وهو لا يعلم التوحيد لا يدخل الجنة، ومن لا يدخل الجنة لا يكون مسلمًا؛ كما في الحديث المتفق عليه: «لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمة».

❁ وعَنْ جَرِيرٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، اشْتَرِطْ عَلَيَّ فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالشَّرْطِ، قَالَ: ﴿ أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَعْبُدَ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَنْصَحَ الْمُسْلِمَ، وَتَبْرَأَ مِنَ الْمُشْرِكِ﴾[٤]. وهذا الحديث فيه المعنى الذي كان يبايع عليه النبي ﷺ على الإسلام وليس هو مجرد النطق بالشهادتين.

الإجماع

قال أبو الحسن القطان:" وأجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم على أن الكافر إذا قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأن كل ما جاء به محمد حق وأتبرأ من كل دين خالف الإسلام وهو بالغ صحيح العقل أنه مسلم فأن رجع بعد ذلك فأظهر

[١] رواه أحمد برقم ٢٠٠٣٧
[٢] شرح معاني الآثار ٣/٣١٦
[٣] رواه مسلم برقم ٤٣
[٤] رواه أحمد برقم ١٩٢٣٣

الكفر كان مرتدا"[١] والبراءة من كل دين معنى يزيد على مجرد النطق بالشهادتين.

وقال ابن المنذر: أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم على أن الكافر إذا قال أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأن كل ما جاء به محمد حق و**أبرأ إلى الله من كل دين يخالف دين الإسلام** - وهو بالغ صحيح يعقل - أنه مسلم ... "[٢]

وقال عبد الرحمن بن حسن قوله: " من شهد أن لا إله إلا الله " أي من تكلم بها عارفا لمعناها، عاملا بمقتضاها، باطنا وظاهرا، فلا بد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها؛ كما قال الله تعالى ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾، أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه: من البراءة من الشرك، وإخلاص القول والعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح **فغير نافع بالإجماع**"[٣]

وقال صاحب المنهاج:" وَاتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ الَّذِي يُحْكَمُ بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَلَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ لَا يَكُونُ إِلَّا مَنِ اعْتَقَدَ بِقَلْبِهِ دِينَ الْإِسْلَامِ اعْتِقَادًا جَازِمًا خَالِيًا مِنَ الشُّكُوكِ وَنَطَقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ **فَإِنِ اقْتَصَرَ عَلَى إِحْدَاهُمَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ أَصْلًا** إِلَّا إِذَا عَجَزَ عَنِ النُّطْقِ لِخَلَلٍ فِي لِسَانِهِ أَوْ لِعَدَمِ التَّمَكُّنِ مِنْهُ لِمُعَاجَلَةِ الْمَنِيَّةِ أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُؤْمِنًا"[٤]

وقال إسحاق بن منصور الكوسج: قُلْتُ لإسحاقَ: إذا جَاء رجلٌ من أهلِ الذِّمَّةِ فَقَال: اعرضْ عليَّ الإسلامَ؟ قَالَ: فإنَّ السنةَ في ذَلِكَ أَنْ يعرض عليه أن يقولَ:

---

[١] الإقناع في مسائل الإجماع

[٢] وكلام ابن المنذر في الإجماع (ص: ١٥٤) - ط دار طيبة. ودرء التعارض ٧/٨.

[٣] فتح المجيد ٣٥/١

[٤] المنهاج في شرح صحيح مسلم ١٤٩/١

أشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأشهد أنَّ محمَّدًا رسولُ اللَّهِ، وأقرَّرتُ بكلِّ ما جاء مِن عندِ اللَّهِ وبرئتُ من كلِّ دينٍ سوى دينِ الإسلامِ، **فهذا العرض التام الذي اجتمع العلماءُ على قبول ذَلِكَ، وصيروه دخولًا في الإسلام وبراءة من الشرك**، فإنِ اقتصرَ العارضُ على المشركِ الإسلام على شهادةِ أن لا إله إلا اللَّه، وأنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ [فهذا] دخول في الإسلام، **إذا كان ذَلِكَ على معنى الدخول في الإسلام** كما قَالَ النبيُّ ﷺ حيث دخل مدراس اليهود فعرض على اليهوديِّ الإسلام قدر هذا، فلما قَالَ ومات اليهودي، قَالَ النبيُّ ﷺ: "صَلُّوا على أخيكم". فإنَّما احتطنا أَنْ يكونَ الذي يعرض على الذميِّ الإسلامَ، يعرضُ عليه الخصال الأربع، كي لا يكون اختلافًا من العلماءِ"[1].

ونقول أنَّ من نطق بالشهادتين على معنى الدخول في الإسلام قُبلت منه، أي من علمنا منه أنه عرف معناها وما تتضمنه من البراءة من الشرك وأهله واعتقد ذلك فيُكتفى منه بالشهادتين وبهذا نجمع بين الروايات التي ذكرها الخلال عن الإمام أحمد في قبول الشهادتين من أهل الذمة.

❁ قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في رده على عثمان بن منصور حين ادعى أنه ينفع التلفظ بالشهادتين من غير علم بمعناها ولا عمل بمقتضاها--فكان جوابه:" فالجواب أن يقال: هذا الرجل من أبعد الخلق عن الفقه عن الله ورسوله ومعرفة مراده؛ وحقائق أحكامه، ومن أجهل خلق الله بأقوال أهل العلم ومدارك الأحكام، وكل من عقل عن الله يعلم علما ضروريا أن المقصود من الشهادتين ما دلتا عليه من الحقيقة والمعنى، وما اشتملتا عليه من العلم والعمل، وأما مجرد اللفظ من غير علم بمعناهما ولا اعتقاد لحقيقتهما (٣) فهذا لا يفيد العبد شيئا، ولا يخلصه من شعب الشرك وفروعه، قال الله تعالى ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[محمد: ١٩] ، وقال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[الزخرف: ٨٦] فالإيمان بمعناهما والانقياد له لا يتصور ولا يتحقق إلا بعد العلم، والحكم على الشيء فرع عن تصوره؛ **فإذا**

---

[1] مسائل الكوسج" ٣٣٧٠.

لم يعلم ولم يتصور، فهو كالهاذي وكالنائم وأمثالهما ممن لا يعقل ما يقول، بل لو حصل له العلم وفاته الصدق لم يكن شاهدا بل هو كاذب، وإن أتى بهما صورة، قال الله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[المنافقون: ١]، فكذبهم في قيلهم، ورد شهادتهم وشهد على كذبهم؛ وأكد الحكم بأن " المؤكدة ولام التعليل فهل يقول عاقل: إنهم يشهدون بكلمتي الإخلاص، ويعترفون بها؟ . وهل هذا القول إلا رد لكتاب الله وخروج عن سبيل المؤمنين؟ فإنهم مجمعون على اعتبار ما دلت عليه الشهادتان من المعنى المراد، وأنه هو المقصود.

ولم يقل أحد أن الإيمان مجرد اللفظ من غير عقيدة القلب وعلمه وتصديقه، ومن غير عمل بمدلول الشهادتين، وما سمعت أن أحدا قاله إلا طائفة من المتكلمين من الكرامية نازعوا الجهمية في قولهم: إن الإيمان، هو التصديق فقط. وقابلوا قولهم بأنه مجرد الإقرار فقط. والقولان مردودان عند الأمة، ولكنهما أحسن وأقرب إلى قول أهل العلم مما أتى به هذا المفتري، من عدم اعتبار العلم والمعنى، ومن قرأ القرآن أو سمعه وهو عربي اللسان يعلم أن قتال المشركين معلل بنفس الشرك معلق عليه، قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً ﴾[التوبة: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ ﴾[المائدة: ٧٢]

وقال تعالى: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ١]- إلى قوله - ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾ [التوبة١ -٥] .

ونحو ذلك من الآيات الدالة على تعليق الحكم على نفس الشرك، وفي الحديث: " «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه» " وفي الحديث الآخر: " «من بدل دينه فاقتلوه» " وكلام الفقهاء في باب حكم المرتد، وقولهم: فمن أشرك بالله... إلى آخر كلامهم."[١]

فصل: توجيه كلام الأئمة الذي يستشهدون به

وإن كان هؤلاء يأتون ببعض الفتاوى للإمام أحمد أو الأوزاعي في قضايا معينة ثم يريدون أن يركبوها على هذا الزمان ويسمون هذا اتباع للأثار وهو الجهل بالتأصيل والتنزيل، فكلام الأئمة هو في قوم غير قومنا وواقع غير واقعنا وتنزيله على غير صورة زماننا هو افتراء على الأئمة ... فمحل النزاع بيننا وبينهم هو في أقوامنا الذين فشا فيهم الشرك وأنواع المكفرات والجهل بلا إله إلا الله وهم مع ذلك ينطقون بها، أما أهل الذمة فلم يتكلموا بالإسلام والشهادتين، فلا يصح تنزيل نصوص الأئمة في أهل الذمة على أقوامنا، وصواب الاستدلال على عدم قبول الشهادتين في الحكم على هذه الأقوام بالإسلام هو إجماع الصحابة في الطوائف التي منعت الزكاة من العرب بعد وفاة النبي ﷺ فهل نفعهم النطق بالشهادتين أو إقامة الشعائر لتصحيح إسلامهم؟ والجواب لم تنفعهم كذلك هي لا تنفع قومنا الممتنعين عن الدين كله.

ومما يبين لك غلط استئناسهم بقول الإمام أحمد استدلاله رحمه الله، كما قال الخلال: أَخْبَرَنَا أبو بكر المروذي فِي موضع آخر، قَالَ: قَالَ لي أبو عبد الله: إذا قَالَ اليهودي، أو النصراني: لا إله إلا الله فهو مسلم، واحتج بحديث ابن

---

[١] مصباح الظلام ١٦٣/١

عباس: مرض أبو طالب"[[١]]، وهو ما روي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ فَأَتَتْهُ قُرَيْشٌ وَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ وَعِنْدَ رَأْسِهِ مَقْعَدُ رَجُلٍ فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ فَقَعَدَ فِيهِ فَقَالَ: مَا بَالُ ابْنِ أَخِيكَ يَذْكُرُ آلِهَتَنَا؟ قَالَ: مَا بَالُ قَوْمِكَ يَشْكُونَكَ؟ قَالَ: " يَا عَمَّاهُ أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ تَدِينُ لَهُمُ الْعَرَبُ وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمْ الْعَجَمُ الْجِزْيَةَ " قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَ: " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " قَالَ: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾[ص: ١] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾ [ص: ٥]»[[٢]].

والنص الذي استدل به أحمد فيه دلالة على أن قريشاً كانوا يعلمون معنى لا إله إلا الله وما تتضمنه من البراءة من الأديان، ولو كانت مجرد كلمةً ـ كما هي عند هذه الأقوام ـ لقالوها ولكنها المفاصلة لدينهم والبراءة من شركهم وآلهتهم وأقوامهم.

أما إيراده لما رواه الفزاري: "قَالَ: وَسَأَلْتُ الْأَوْزَاعِيَّ عَنِ السَّبْيِ مِنَ الرُّومِ وَالصَّقَالِبَةِ يُصَابُونَ صِغَارًا أَوْ كِبَارًا، فَقَالَ: " مَنْ أُصِيبَ مِنْ سَبْيِ الرُّومِ صَغِيرًا فَلَا يَبِعْهُ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ. وَمَنْ أُصِيبَ مِنْ عَبِيدِهِمْ قَدْ بَلَغَ، وَعَرَفْتَ أَنَّكَ إِنْ أَمَرْتَهُ بِالْإِسْلَامِ أَسْلَمَ فَمُرْهُ بِالْإِسْلَامِ، وَلَا تَبِعْهُ مِنْهُمْ. وَمَنْ أُصِيبَ مِنْ عَبِيدِهِمْ قَدْ بَلَغَ، وَلَا يُسْلِمُ إِنْ أَمَرْتَهُ، لَمْ يَلْزَمْكَ أَنْ تَدْعُوَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَبِعْهُ مِنْهُمْ إِنْ شِئْتَ. وَمَنْ أُصِيبَ مِنَ الصَّقَالِبَةِ، أَوِ الْحَبَشِ، أَوِ التُّرْكِ، أَوْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ، أَوْ غَيْرِهِمْ مَنْ لَيْسَ لَهُ دِينٌ يَعْرِفُهُ، وَلَا يُفْصِحُ، وَإِنَّمَا دِينُهُ مَا دَعَوْتَهُ إِلَيْكَ أَجَابَكَ إِلَيْهِ فَهُوَ مُسْلِمٌ، فَإِذَا مَلَكْتَهُ فَلَا تَبِعْهُ مِنْهُمْ، [ص:١٤٩] وَمَنْ أُصِيبَ مِنَ الْكِبَارِ فَادْعُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَعَلِّمْهُ، فَإِنْ أَبَى فَبِعْهُ إِنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَإِسْلَامُهُ أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قُلْتُ: فَإِنْ قَالَهَا بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْ ذَلِكَ بِقَلْبِهِ؟ قَالَ: إِذَا قَالَهَا فَهُوَ مُسْلِمٌ، ثُمَّ تُعَلِّمُهُ بَعْدُ "[٣] ... فنقول أن هذا الأثر مقيد بالتعليم ولم يطلق الأوزاعي الحكم دون اشتراط التعلم كما يفعل صاحب المقالة الذي يحكم

[[١]] أحكام أهل الملل برقم ٨٤٣

[[٢]] رواه البيهقي في السنن الصغير برقم ٢٩٢٩ ، والطحاوي في شرح مشكل الآثار برقم ٢٠٢٩

[٣] كتاب السير الفزاري ١٤٧/١

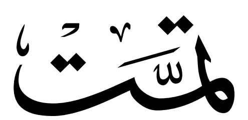
بالإسلام دون تعليم، فهو يحكم على الجاهل بالإسلام مع استمراره بالجهالة وهذا الأثر لايسعفه في إثبات ما يريده كما هو ظاهر من الشرط.

والروايات التي ذكرها الخلال في كتبه أحكام الملل عن الإمام أحمد يفسر بعضها بعضا ومن أوضحها وأتمها قوله أَخْبَرَنَا أحمد بن مُحَمَّد بن حازم، ومقاتل، والطيالسي قَالُوا: حَدَّثَنَا إسحاق بن منصور، قَالَ: **سألت أحمد عن الرجل يعرض عَلَيْهِ الإسلام**، يقر ويشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، أيرثه وارثه من الإسلام؟ قَالَ: نعم.

ومن نقل غير هذا، هؤلاء فِي مذهبهم لا ينبغي أن يكون هكذا، ولكن العجب، أي، لا يدفعون»[1].

ولاشك أن الرجل إذا عرض عليه الإسلام الصحيح فأقر وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله فهو مسلم وليس هذا محل نزاعنا وإنما محل النزاع عمن يتكلم بالإسلام والشهادة ولا يعرف معناه ولا حقيقتها وهذا لم يشر إليه أحمد في فتاويه بل تكلم على من أتى بالنطق والمعنى جميعا.

والله أعلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين.



[1] رواه الخلال برقم ٨٣٨